

سميح القاسم

ريوبرتاچ .. عن عزيلان عابر

(١)

بين انقاض حزيان التقينا
انا والموت . تداخلنا ، اشتعلنا واضانا
وعلى ارضفة النكسة قابلت كثيرين - اعذروني
فالعدد ،
صار شيئا ونقيضه -
قال لي الراوي الذي اصبح شعبا في جسد :
« باسم مليون شريد مرة اخرى ،
ومليون ذراع في السلاسل
باسم طفل ، مرة اخرى تيتشم
وعجوز حرموها صفنة الذكرى ،
وتاريخ السنابل
مرة اخرى ،
ومنديل صبيه
حبها نصب على قبر مقاتل
باسم آتي مدن صارت مخيم
مرة اخرى ،
.. قرى تفرق في ماض محطم
مرة اخرى ،
.. كروم اورقت في الابدية
عبرها دبابة تعوي . وجيش يتقدم
باسم قتلى دفنتهم
في شقوق الصخر . في الصهد . رياح بربريه
لا تسلي اي وجه ذكروه
لا تسلي اي شيء تركوا . اي وصيه
وعن اسم همسوه
لحظة الموت .. فاني لست اعلم !
باسم شعب جعلوه
عبر اعوام من الحزن .. الها في جهنم
باسم شعبي .. اتكلم !!
(وطفونا . وغرقنا
وعلى الجرح خبونا
وعلى الجرح احترقنا ..

(٢٠)

كل زيتون الجليل
كل ازهار الجليل
كل اعضاء الجليل
وشرايين الجليل
وحساسين الجليل
عرفته . واحبته . وباست راحتيه
راعيا كان ، وفنانا اصيل
صوته ، يحفظه عن ظهر قلب
كل سفح ومطل وسبيل
صوته زفرة ناي . وانتفاضات طبول
لم يزر معهد موسيقى .. ولكن الحقول
لم تبع للاسطوانات العجيبه
نكهة الصوت البدائي الجميل ..
راعيا كان . وغنى .
قبل ان يسقط فيما بعد . والصحف تقول :
« عثرت دورية الامن ،
على عنصر تخريب .. قتيل »
راعيا كان . وغنى قبل ان ...
(احبائي مضوا شرقا وغربا
وفاتوني لنار الشوق نهبا
لعودتهم نذرت فما وقلبا
فشاخ فمي . وقلبي ذاب ذاب
كل العيون عيوني ..
سلاما يا احبائي سلاما
من الجرح الذي صلى وصاما
دمي صوت وصيحاتي خزامي
وانتم صامتون بلا جواب
كل العيون عيوني
اعينوني على جرحي اعينوا
اهدده ويوقظه الحنين

**يهون الامس ولو عدتم يهون
فملاء غدي الطفولة والشباب
كل العيون عيوني ..**

(٣)

اشعل النيران في جلبابه الصوفي ،
القي فوقه فضلة صبره
صار ايوبا جديدا
بلغ الكشف فعاد الدهر عن زرقة شعره .
عندما قابلته في ردهة الحزن تبسم
قال لي والخنجر المسموم مغروس بصدريه :

اخفا الله كثيرا ،

ما على العبد اذا العبد تكلم ..

وبكى في ردهة الحزن وغنى
لتي صارت نعيما وجهنم :

اجسادك الكثيره

محبوكة في جسدي

ويوم صارت حولك القلوب

طبول جيش عاد بالبيارق الكسيره

تقمصت تفريبتني الصخور والدوالي

وفي اتون زهرك البري

تعمدت اصابعي . وجهتي تعمدت

وقبل ان يلوي بك الغروب

صعدت بالظهيره ..

اجسادك الكثيره

محبوكة في جسدي . يا زوجتي الفقيره

لذا جرعت علقم التاريخ كله

حتى اصير عسلي

هذا الذي اوزته ذريتي .

فليسعد الاودية المحتقنه

غموضها وفهمها

وليسعد الجبال في صفنتها الرهيبه

ان تشرب الصوت الذي اصرخه

من قبل ان تنقله اليك

ليرتمي صاعقة في ملتقى يديك

في جسدي محبوكة

اجسادك الكثيره

وها انا ارتقب الصواعق

في الثمر الناضج مثل حبنا

وها انا انتظر الخوارق

في خطوتي الاولى رحابك

فانتظريني .. انتظري ..

بالزاد والماء ، امام بابك !.

في جسدي اجسادك الكثيره

يا زوجتي الاسيره

وكل اسراري التي اختفت تعود

من حزننا تعود

من موتنا .. تعود

بياسمين حبنا تعود ..

وحيث اشتهي تدور الكرة الارضيه

تدور مثل حدقة

استلها من محجري جنيه

وفي طقوس الرجم والصعود

تردحم القامات بين حاجبي

ووجهك الموعود

يطل . آه وجهك المعبود ،

يطل من نقع التواريخ ،

وقد مددت لاستقباله كفي !

(٤)

خطاه قداس على الاعتبار

تهللي ايتها الارصفة الحزينه

تزيني آيتها الساحات والقناطر

وليخرج الحزاني

بفصن زيتون وياسمينه

خطاه قداس على الاعتبار

فا نفتحي لملك المجد الذي اقبل ، يا ابواب

خطاه قداس ..

وفي فكيه مزمو

عن العدوان والثمار

والموت والخلاصة :

بيد اغلق ابواب جراحي

ويدي الاخرى على باب الصباح

نصل سفاح على حنجرتي

وعلى وجهي تهاويل الاضاحي

قبضة الجبهة لا تمهلي

لحظة . ما بين ذبح واندباح

لم تزل نيرانهم مفتوحة

ودمي ينزف فلا واقاحي

.....

انا اوجاع ملايين صحت

فصحت غضبة حق مستباح

من رخام الامس دوى المي

يا سدود انتظري دين اكتساحي

ابذر الشمس على مستقبلي

واشج الليل عن فضل وشاحي

فاضربوا اوتادكم في وطني

انها لعبة قش ورياح !

.....

حرموا الدوح على بلبله

واينحوا لكمو غير المباح

ساكيل الصاع صاعين لكم
ناقلا ناري من ساح لساح
مخلب الصقر أنا قلمته
امس . فليكن على حد سلاحي
تتحدى زهرتي دبابة
فاسحقوها ، تزهدهر كل بطاحي
من محيطي لخليجي لم يزل
صاعدا يكتسح الموت جناحي

.....

وطني جذر عتيق راسخ
طالما قصف اعناق رياح
وطني جنة عدني ، وأنا
حارس الجنة من كف وقاح
واري حولي رؤوسا اينعت
وانا فاطفها باسم جراحي

.....

غضبي يحرق من يشعله
غضبي القادم ريحا بلقاح
فافهموا يا سادتي . اخبركم
انني صاح . اعيد القول . صاح
الف هولاءكو انا اغرقتهم
في دياجيري . واطلعت صباحي
ينتهي العدوان غيما عابرا
وانا ابقى . وحيي . وكفاحي !

(٥)

جرع الكأس الممهولة . . دمعاً بدماء
وازاح رماد الافق ، وقال :
« وطني بطاقات البريد
وطني وكرتات الاعاشه
وطني . ونيسان جديد
وصلت بشيرته الفراشه ! »

(٦)

اخذ الحكمة عن كتب الحزن ، وكان عليه
أن ينجز امرا ما . .
حدثني من زهرة نار في سيناء . ولم يترسل :
« ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
السنونوة لا تخلق في الارض ربيعا
ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
كل حق خلفه طاله ،
لا . لن يضيعا ! »

قلت له ،
وهو يغيب لينجز امرا ما :
(لو انني املك ان تكون
خاتمة الآباء
واول الابناء
يهون ما كابדתه . . يهون
وملء جفني اموت . . باسماء !)

(٧)

المارد يطلع من مارد
وملايين تنبض في الساحات
تنبض في الساحات . تموج . تغني . تبكي .
قلبا واحدا
وقما واحدا :
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
نحن ككل شعوب الارض
نملك ايام السنة الشمسية
والسنة القمرية
نعرف كل فصول الحب ونعرف كل فصول البغض
نعرف حزن الجزر
ونعرف عنف المد
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
فليفهم مستر هولاءكو
فليفهم مستر جنكيز خان
وليفهم كل قراصنة التاريخ
في الماضي . والحاضر . والمستقبل
وليفهم كل الاسياد وكل الاعوان :
اقوى من كل الجنرالات
وكل الدبابات
وكل النفاثات
وكل الفواصات
وكل الرادارات . . الخ . .
اقوى منها
كف الانسان على مقبض منجل !

هذا درس الماضي والحاضر . .

فلنتعلم . . للمستقبل !!

سميح القاسم

(عن مجلة « الجديد » بحيفا)